الدرس الثاني والعشرون :

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله

روى الإمام مسلم في صحيحه ، عن أبي هريرة ﷺ ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال :« **المؤمن القويُّ خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍّ خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجِز ، ولا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا . ولكن قل : قدَّر الله وما شاء فعل . فإن (لو) تفتح عمل الشيطان** »[1].

موازنة نبوية :

يوازن النبيُّ ﷺ في الحديث بين نوعين من المؤمنين ، كلاهما مؤمن ، وكلاهما على خير ، ولكن أحدهما قوي ، والآخر ضعيف ، ويدلُّنا النبي ﷺ ، على أن المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف . . .

إن الله سبحانه وتعالى يحب الأقوياء . . . يُحب للمؤمن أن يكون قويًّا عزيزًا . . . عزيز النفس ، مرفوع الرأس ، مُحافظًا على كرامته ، قويًّا في تفكيره ، قويًّا في إرادته ، لا يتردَّد تردُّد الضعفاء ، ولا يتخاذل تخاذل الجبناء . . . إذا أراد شيئًا من الخير عمل على تنفيذه ، لا يُغْريه وعد ، ولا يُثنيه وعيد ، لا يقعد به شُحٌّ هالع ، ولا جُبْن خالع .

المراد بالقوة في المؤمن :

هذا هو المؤمن . . . قويٌّ . . . يظنُّ بعض الناس أنَّ القوة هنا قوة الإيمان ، ولكن ليس هذا المراد ، فالحديث يتحدَّث عن مُؤمنين . . . ولهذا قال : « المؤمن

---

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤) ، وأحمد (٨٧٩١) ، وابن ماجه في المقدمة (٧٩) ، والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة (١٠٣٨٦) ، عن أبي هريرة .

OBEIKAN.COM

القويُّ خير من المؤمن الضعيف»، ثم قال :«وفي كل خير»، لأن كليهما مؤمن . . . فالمؤمن القوي . . . القوي في شخصيته ، القوي في عزيمته ، القوي في تفكيره ، القوي في بدنه : خيرٌ وأفضل وأحبُّ إلى الله من صاحبه ، كل أنواع القُوة مطلوبة من المسلم ؛ لأن الإسلام هو دين القُوة ، دين الجهاد ، دين العزَّة والكرامة ، فهو يُريد لأبنائه أن يكونوا أقوياء .

التحذير من أسباب الضعف والأخذ بأسباب القوة :

النبيُّ ﷺ كان يدعو الله بقوة ؛ حتى في دعائه ، والدعاءُ مظهر الخشوع والتذلُّل أمام الله سبحانه وتعالى ، ولكنه كان يدعو بكلِّ مظاهر القوة . . . كان يقول : «اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحَزَن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجُبن والبُخل ، وأعوذ بك من ضَلَع الدين وغلبة الرجال»[1]، وفي رواية أنه قال لأبي أُمامة أن يقول إذا أصبح وإذا أمسى : «اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحَزَن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجُبن والبُخل ، وأعوذ بك من غَلَبة الدَّين وقهر الرجال»[2]، وكل هذه مظاهر وأسباب الضعف ، فالنبيُّ ﷺ ، يحثُّنا على أن نأخذ بأسباب القوة ، بكل مظاهر القوة ، أن نُقوِّي أنفسنا ، أن نُقوِّي أجسادنا ، أن نُقوِّي عزائمنا ، وأن نستعيذ بالله من أسباب الضعف .

احرص على ما ينفعك :

ثم رتَّب النبي ﷺ ، على ذلك عدة أوامر . . . ونواهٍ . . . وتوجيهات . . . فقال : «احرص على ما ينفعك» ، إذا كنتَ قويًّا حقًّا ، إذا أردت أن تكون مؤمنًا قويًّا فاحرص على ما ينفعك . . . كل ما ينفعك في دينك ، وفي دنياك ، وفي يومك ،

---

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٦٩)، وأحمد (١٢٦١٦) ، وأبو داود في الصلاة (١٥٤١) ، والترمذي في الدعوات (٣٤٨٤) ، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٥٠) ، عن أنس .

(٢) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٥٥) ، عن أبي سعيد الخدري ، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٣٣) .

وفى غدك كل ما ينفعك فردًا ، وينفع أمتك جماعة . . . فاحرص عليه ، واعمل من أجله ، واسْعَ في طلبه ، واشْدُد يدك عليه ، « احرص على ما ينفعك ».

استعن بالله على مُهمات الأمور :

« واستعن بالله ولا تعجِز » . . . استعن بالله في طلب ما ينفعك ، لا تستعن بالمخلوقين أحياء وأمواتًا استعانة الذليل ، ولكن ضع يدك في يد الله ، كما علَّم النبيُّ ﷺ ابن عباس ، وقال له : « يا غلام ، ألا أعلمك كلمات؟ » . ثم قال له : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك »[1].

استعن بالله على مُهمَّات الأمور ، على مُلمَّات الحياة ، استعن بالله عز وجل . ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(الفاتحة:٥)، فاستعن بربِّك على مُهمِّات أمورك .

ادفع الأقدار بالأقدار :

استعن بالله ولا تعجِز ، لا تكن عاجزًا ، لا تعمل عمل العاجزين ، ولا تقف موقف العاجزين ، الذين يُحيلون كلَّ أمر على المقادير . . . ربنا أراد كذا . . . ربنا قدَّر كذا . . . ولا يفعل ما في وُسعه ، فقد روى أنَّ النبي ﷺ رأى رجلين يختصمان ويتصارعان ، فغلب أحدهما الآخر ، فقال المغلوب : حسبي الله . فقال النبي ﷺ مُنكرًا عليه :« إنَّ الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكَيْس ، فإذا غلبك أمر فقل :

---

(١) رواه أحمد (٢٦٦٩) ، وقال مُخرِّجوه : إسناده قوي ، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)، وقال : حديث حسن صحيح ، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، والطبراني في الأوسط (٥٤١٧)، وفي الكبير (١٢٣/١١) ، والحاكم في معرفة الصحابة (٥٤١/٣) ، وقال : هذا حديث كبير عال من حديث عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن عباس إلا أن الشيخين لم يخرجا شهاب ابن خراش ولا القداح في الصحيحين ، وقد روي الحديث بأسانيد عن ابن عباس غير هذا ، والبيهقي في الشعب باب القدر خيره وشره من الله (١٩٥) ، عن ابن عباس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧) .

حسبي الله»[1]، لا تقل حسبي الله قولة العاجز ، ولكن قُلها عندما تنفد أمامك الحِيل ، وتُستنفذ كل الوسائل .

هكذا يجب أن يكون المسلم ، ولهذا قال الأقدمون : من دلائل العجز كثرة الإحالة على المقادير . وقال الشاعر الفيلسوف المسلم الدكتور محمد إقبال :

(المؤمنُ الضعيف هو الذي يحتجُّ بقضاء الله وقدره ، أما المؤمن القوي فهو يعتقد أنه قضاء الله الذي لا يُرد ، وقدره الذي لا يُدفع . . . يعتقد أنه هو قدر الله).

قال أحد قُوَّاد الفُرس لأحد المسلمين يوما : من أنتم؟ فقال له : نحن قدر الله ، ابتلاكم الله بنا ، فلو كنتم في سحابة لهبطتم إلينا أو لصعدنا إليكم . نحن قدر الله ، هكذا يعتقد المؤمن . . .

المؤمن لا يعيش مُتَحسِّرًا :

ثم يقول النبي ﷺ : «ولا تقل : لو أنِّي فعلتُ كذا لكان كذا . ولكن قُل : قدَّر الله وما شاء فعل . فإن لو تفتح عمل الشيطان» ، لا تعش مُتحسِّرا بـ(لو) و(ليت) على ما فات ، فإن هذا لا يُجدي ، وبعض الناس تنزل بهم النازلة من مصائب الدهر ، فيظلُّ فيها شهورًا وأعوامًا يجترُّ آلامها ، ويستعيد ذكرياتها القاتمة ، مُتحسِّرًا تارةً ، مُتمنيًا أخرى ، شعاره : ليتني فعلتُ كذا ، وليتني تركتُه ، لو أني فعلتُ كذا لكان كذا . وقديما قال الشاعر :

ليت شعري وأيــن مــني (ليــتٌ) إنَّ (ليتَــا) وإنَّ (لــوًّا) عنــاءُ

ولهذا ينصح الأطباء النفسيُّون ، والمُرشدون الاجتماعيون ، ورجال التربية ، ورجال العمل ، أن ينسى الإنسان آلام أمسه ، فيعيش في واقع يومه ، فإن الماضي بعد أن ولَّى لا يعود .

ما مضى فاتَ والــمُؤمَّل غيــبٌ ولكَ الساعةُ الــتي أنــت فيهــا

---

(١) رواه أحمد (٢٣٩٨٣) ، وقال مُخرِّجوه : إسناده ضعيف لضعف بقية بن الوليد ، وجهالة سيف ، وأبو داود في الأقضية (٣٦٢٧) ، والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة (١٦٠/٦) ، والطبراني في الكبير (٩٧/١٨) ، والبيهقي في الكبرى كتاب الشهادات (١٨١/١٠) ، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٧٨٢) .

فانتفع بها إذن ، واحرص عليها .

لا تنشر نشارة الخشب :

وصوَّر أحد المحاضرين تصويراً بديعًا لطلبته ، حين سألهم : مَن منكم مارس نشر الخشب ؟ فقال كثير منهم : فعلنا . ثم سألهم مرة أخرى : وكم منكم مارس نشر نشارة الخشب ؟ فلم يرفع أحد منهم إصبعه . وحينئذ قال المحاضر : بالطبع لا يمكن لأحد أن ينشر نشارة الخشب وهي منشورة فعلاً . . . وكذلك الحال في الماضي . . . فعندما ينتابك القلق لأمور حدثت في الماضي ، فاعلموا أنكم تمارسون نشر النشارة . هذا ما ينبغي أن يعرفه المسلم ، فالضعف الإنساني يغلب على الكثيرين ، فيجعلهم يطحنون المطحون ، ويبكون على أمس الذاهب ، ويعضُّون على أيديهم أسفًا على ما فات ، ويُقلِّبون أكفَّهم حَسْرةً على ما مضى .

في الرضا والتسليم راحة :

وأبعد الناس عن الاستسلام لهذه المشاعر الأليمة ، والأفكار الداجية هو المؤمن . . . الذي قوي يقينه بربه ، وآمن بقضائه وقدره ، فلا يُسلم نفسه فريسة للماضي وأحداثه ، بل يعتقد أنه قضاء الله ، وكان لا بد أن ينفُذ ، وما أصابه من قضاء الله لا يقابل بغير الرضا والتسليم ، ثم يقول ما قال الشاعر :

سبقتْ مقاديرُ الإلهِ وحُكمِهِ فأرحْ فؤادَك من (لعلَّ) ومن (لوِ)!

أو ما قال الآخر :

ولستُ براجع ما فاتَ منِّي بلهف ولا بليتَ ولا لوَ أنِّي!

إنه لا يقول : لو أنِّي فعلتُ كذا لكان كذا . ولكن يقول ما علَّمه النبي ﷺ : « قدَّر الله وما شاء فعل ، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان» .

إنه يُوقن أن قدر الله نافذ لا محالة ، فلِمَ السخط ؟ ولِمَ الضيق والتبرُّم ؟ والله تعالى يقول : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد: ٢٢، ٢٣).

من دروس غزوة أحد :

وفي غزوة أُحد ، التي قُتل فيها سبعونَ من خيار المسلمين ، نعى القرآن على طائفة من المنافقين ، ومرضى القلوب ، وضعاف الإيمان ، عاشوا بين (لو) المُتندِّمة و(لَيْت) المُتحسِّرة ، فيقول : ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ (آل عمران:١٥٤).

ويردُّ على أولئك الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا : ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (آل عمران:١٦٨).

موقف المنافقين وإخوانهم من الكفار :

المؤمن لا يقفُ موقف هؤلاء المنافقين ، ولا موقف إخوانهم من الكفار ، الذين نهى القرآنُ عن التشبُّه بهم ، في تحسُّراتهم الأسيفة ، وتمنياتهم الحزينة ، حين قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (آل عمران:١٥٦-١٥٨).

شعار المؤمن :

إنَّ شعار المؤمن في الشدائد والمصائب : «قدَّر الله وما شاء فعل» ، الحمد لله على كل حال ، وبهذا لا يأس على ما فات ، ولا يحيا في خضمٍّ أليم من الذكريات ، وحسبه أن يتلو قول ربه تعالى :﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن:١١) [1].

* * *

(١) راجع ما ذكرناه في كتابنا : (الإيمان والحياة) فصل : (أثر الإيمان في حياة الفرد) صـ٤٩ ـ ١٧٥ طبعة مكتبة وهبة ، القاهرة .